النقد

شهرزاد

للدكتور محمد حسين هيكل بك

وأقصد بشهرزاد التي أتحدث الآن لقراء الرسالة عنها ، مسرحية توفيق الحكيم الأخيرة

تلوتها للمرة الأولى فاغتبطت ، وتلوتها للمرة الثانية فأعجبت ، ثم جعلتها بعد ذلك سمير أوقات السأم ، أتلو فيها بعض صحف من منظرها الثالث أو من منظرها الأخير ، فأستريح للتلاوة وأبرأ من سأمي

ترى أيرجع الفضل في ذلك الى فن الأستاذ توفيق الحكيم ، هذا الفن الذي يقصد به لوجه الفن وحده ، أم يرجع لما ينطوي عليه اسم شهرزاد من سحر قديم ، سحر رد الملك شهريار عن قتل العذارى ألف ليلة وليلة ، وأوحى بموسيقى شهرزاد الرائعة ، وأصبح علامة على ما يجري في الظلام وتحت ستر الليل ، وجعل المتحدثين يكتنون عن الكلام المباح كلما جل الأمر ودهى الخطب .

أريد أن أقتنع بأن الفضل في اغتباطي ثم في إعجابي يرجع الى فن الأستاذ توفيق الحكيم ، هذا الفن الحديث الذي يجاري أحدث أطوار الفن في أوربا مما تتبعنا نحن ولم نتمثل . وأقصد بنا نحن الذين تمثلوا الفن القصصي أو الفن المسرحي أو ماسواهما من صور الفن الغربي قبل الحرب . أما ما بعد الحرب فقد تتبعنا الى حد أطوار الفن ، ولكن مادهمنا من مشاغل طغى على تمثيلنا إياها ، وقد تنقل الفن بعد الحرب في أطوار شتى كان الأستاذ توفيق الحكيم مأخوذاً في تيارها أثناء مقامه بباريس ، فلا عجب أن يتمثلها بل أن تتمثله . ولا عجب وله في الأدب المسرحي ما له من مواهب أن تدفعه ليخرج للناس مسرحيته أهل الكهف وشهرزاد .

وأنت تقرأ شهرزاد وتعيد قراءتها وتغتبط وتعجب ثم تسائل نفسك : ماذا فيها وما هي الفكرة التي تنطوي عليها ؟ وقفت أمام سؤالك نفسك ولا تكاد تحير جوابا . بل لعلك تجد الجواب اذ تطرب بعد ذلك لسماعك لحنا من الموسيقى تهتز له جوانب فؤادك ، وتشيع له الغبطة في أنحاء نفسك ، ثم تسأل : ماذا في هذا اللحن وما هي الفكرة التي ينطوي عليها ؟ وتستطيع أن تجيب بعد ذلك لا شيء ولا فكرة ، وإنما هو الفن يغذي النفس بالغذاء الروحي الذي تصبو اليه في الساعة التي تنال فيها هذا الغذاء . وتستطيع أن تجيب بأن في هذا اللحن كل شيء وأسمى فكرة ، وأنه يتناول أجل مافي الحياة من معان وصور

وذلك شأن مسرحية شهرزاد ، فلا شيء ولا فكرة فيها وفيها كل شيء وكل فكرة . فالملك شهريار الذي قتل زوجه الأولى وقتل معها العبد الذي وجده في أحضانها قد أقام يقتل عذراء في كل ليلة انتقاما لنفسه من غدر النساء ، حتى تزوج شهرزاد ، لكنه لم يقتلها لأنها بدأت تقص عليه أحسن القصص ولا تتم قصتها إذا كان الصباح . وتعود اليها اذا جن الليل ، حتى انقضت الف ليلة وليلة ، وشهرزاد لم تكن الى يومئذ تبلغ العشرين . كيف لها إذن أن تعرف كل هذا الذي تقصه ؟ وكيف تراها وهي تعرف ذلك كله لا تريد أن تبوح لشهريار بسرها وسر الطبيعة وسر الكون كله . هذه مسرحية توفيق الحكيم من أولها الى آخرها ، هي كما ترى لا شيء ولا فكرة فيها . ولكن لا ، ففيها كل شيء وكل فكرة ، استمع اليه حين يصور هذه الفكرة الاساسية التي تنتظم المسرحية كلها على لسان شهريار حين يثور بشهرزاد لانها تلح عليه في أن الحياة ليس بها ما يستحق العلم ، وانها لا سر فيها ، وأنها هي — شهرزاد — ليست الا امرأة ككل النساء ذات أم وأب وماض معروف ، يثور شهريار ويتحدث كمن به مس ، وكمن يتحدث إلى نفسه فيقول : قد لا تكون امرأة ، من تكون ؟ إن أسألك من تكون ؟ هي السجينة في خدرها طول حياتها تعلم بكل ما في الأرض كأنها

الأرض ! هي التي ماغادرت خيلتها قط ، تعرف مصر والهند والصين! هي البكر تعرف الرجال كامرأة عاشت ألف عام بين الرجال ، وتدرك طبائع الانسان من ساميه وسافله ، هي الصغيرة لم يكفها علم الأرض فصعدت إلى السماء تحدث عن تدبيرها وغيبها كأنها ربيبة الملائكة ، وهبطت إلى أعماق الأرض تحكي عن مردتها وشياطينها ومساكنهم السفلى العجيبة كأنها بنت الجن ! من تكون تلك الفتاة تبلغ العشرين قضتها كاترابها في حجرة مسدلة السجف ! إما سرها ؟ أعمرها عشرون عاما ، أم ليس لها عمر ؟ أكانت محبوسة في مكان ، أم وجدت في كل مكان ؟ إن عقلي ليغلي في وعائه يريد أن يعرف . . . أهي امرأة تلك التي تعلم ما في الطبيعة كأنها الطبيعة ؟ »

أسمعت ؟ إن بنا ظمأ لأن نعرف . ولكننا لا نستطيع أن نعرف ، وما نزعم أننا عرفناه اليوم سيقول أبناؤنا غداً إنه حديث خرافة ، كما نقول نحن عما عرف اجدادنا أنه حديث خرافة ، هذا كلام لا شيء ولا فكرة فيه كما ترى . وهو مع ذلك كل شيء وهو مع ذلك طريف وأن تكرر كل يوم مادام يتكرر في اسلوب من له روعة أسلوب توفيق الحكيم المسرحي . وهو طريف وإن تكرر لأنه يدعونا للمحاولة كي نعرف أفي الحياة جديد

فالى أي شيء نسعى في الحياة ؟ وما غرضنا منها ؟ هذا ما يريد شهريار أن يعرف . وتقول له شهر زاد إن الحياة هي السعادة . والسعادة يجب أن يلتمسها الرجل في جسم امرأته . ويأبى شهريار ويتكدر ويكاد يقتل شهر زاد . ولكن شهر زاد تبدي له في روعة جمالها كاملة فيتمنى لو تحبه ليكون سعيداً . وفي أحلام الحب ينام !

وشهر زاد في مسرحية توفيق الحكيم هي المرأة ، وهي الطبيعة ، بها يفتن شهريار ، وبها يفتن وزيره قمر . وبها يفتن العبد . وبها يفتن الناس جميعا ، ومنها يخاف الناس جميعا . يلتمسون منها المعرفة ، ويلتمسون منها الحقيقة ، ويلتمسون منها السماح ، ويلتمسون منها السعادة . وينالون من ذلك كله فتاتا لا يغنيهم ، ولكنه يقتلهم . الوحيد الذي ينجو هو العبد الذي استمتع بجسد شهر زاد ، والذي احبت شهر زاد رغم سواده وغلظته ، لان الزهرة البيضاء الرقيقة تنبت من الطين الاسود والغليظ ، ورغم قبحه وضعة أصله ، لأن سواد اللون وضعة الاصل وقبح الصورة هي الصفات الخالدة التي تحبها شهر زاد ، والتي تعشق الطبيعة وإن كانت الطبيعة وكانت شهر زاد مثلها لا يعشقان أحداً .

لعلي استطعت بالقليل الذي تقدم ان أصف الأثر الذي تركت في نفسي مسرحية توفيق الحكيم الأخيرة وهو كما ترى أثر يتعدى الغبطة الى الاعجاب . لكنني لاحظت عليها كأثر من آثار توفيق الحكيم ، ما لا يتفق وما كان بارزا واضحا في أهل الكهف وفي قصة عودة الروح ، وفي آثاره الوجيزة الأخرى التي تنشر في المجلات ، فقد كان بروز الشخصيات ووضوحها بعض ما امتازت به هذه الآثار كلها . أما في شهر زاد فالكل فلاسفة في قوة واحدة . الملك والوزير قمر ، وشهر زاد ، والعبد ، والجلاد ، والساحر ، يتحدثون جميعا ومنطق كل واحد منطق الآخر وقوته قوته ، وأنوثة شهر زاد أنوثة فلسفية هي الأخرى . وحب قمر اياها أقرب لأن يكون حبا فلسفيا لا يخضع لضعف الحب الا بالكلام وهذا في رأينا مأخذ وإن سترته قوته المسرحية . وهو مأخذ بالنسبة لتوفيق الحكيم بنوع خاص ، لكنه لا يغض من قيمة أثر له من الجلال ما قدمنا ، وله الى جانب جلاله أنه أثر خالص للفن وهذا ما لا تجده في الادب العربي الحديث الا نادرا واندر من النادر

محمد حسين هيكل

كتاب

حديقة الانشاء

تأليف

علي الجندي — مدرس بمدرسة المعلمين الأميرية

حسن عثمان — مفتش بمديرية الشرقية

ظهرت الطبعة الرابعة من كتاب حديقة الانشاء وهو خير كتاب يفيد التلاميذ لتعدد مواضيعه وحسن اختيارها وهو مطبوع طبعا حسنا وعلى ورق جيد

فاطلبوه من مطبعة الاعتماد بشارع حسن الاكبر بمصر ومن مكتبة الهلال بالفجالة بمصر والمكاتب المشهورة